السَّنة الثامنة والخمسون وخمس مئة

فيها بُني كشك الخليفة والوزير على باب المُظَفَّرية ظاهر بغداد، وأنفق على ذلك مالاً عظيماً، وسُمِّي المكان الحُطَمِيَّة، وكان الخليفة والوزير يخرجان فيقيمان فيه، ويصلِّيان الجُمعة في جامع الرُّصافة مدَّة إقامتهما فيه، ويخرج أهل بغداد أيام الجُمَع، ويقفون صفوفاً يتفرَّجون، ويعبر الخليفة بينهم، وكان له حاجبٌ يقال له أحمد النوبي، وكان المستنجد سميناً، فاجتاز بامرأتين، فقالت إحداهما للأُخرى: ما ترين ما أسمن الخليفة؟ فقالت لها: إنَّك باردة، مَنْ يكون بين يدي النوبي ما يسمن!

وفيها كانت وقعة عظيمة بين أتابك إيلدكز والخَزَر، خرجوا من باب الأبواب، وأغاروا على البلاد، ونهبوا وسَبَوْا وأسروا وقتلوا، وأيقن المسلمون بالهلاك، فجمع إيلدكز عساكره والمُطَّوِّعة وأهلَ البلاد، فقيل له: لا طاقةَ لك بهم، هؤلاء في ثلاث مئة ألف، وأنتَ ما يبلغ جمعك ثلاثين ألفاً! فقال: ألقاهم بالله وببركات الصَّالحين، فالتقوا على أَذْرَبيجان، واقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله إلا قتال الغُزّ وسنجر، وظهروا على المُسْلمين أول النَّهار، فترجَّل إيلدكز والعساكر، وهبَّت ريحٌ عاصف، فَسَفَتْ في وجوه الخَزَر التُّراب، فهزمهم الله تعالى، وسار إيلدكز في آثارهم قَتْلاً وأَسْراً، وأُسر ملوكهم، وقُتِلَ أبطالهم، وأُخذ منهم صليب الصَّلبوت، وكان مرصعاً بالجواهر واليواقيت ما قيمته مئة ألف دينار، وبعث بالملوك والأعيان والرؤوس إلى بغداد والصَّليب، وخرج الموكب بأَسْره، ولم يتخلَّف سوى الوزير، وجَلَسَ الخليفة في الكشك، وعبروا بهم عليه، فَسُرَّ سروراً كثيراً، وخلع على الرُّسُل، وأعطاهم الأموال، وبعث إلى إيلدكز بخِلَعٍ تقارب خِلَع السَّلْطنة، ومراكب الذهب والكوسات والأعلام ومال كثير.

وفيها قَبَضَ قُطْبُ الدِّين مودود صاحب المَوْصِل على جمال الدِّين الوزير الأَصفهاني، وحَبَسَه في قلعة المَوْصِل، واستصفى أمواله.

وفيها سارَ نورُ الدِّين إلى قتال قليج رسلان[١] ابن السُّلْطان مسعود، صاحب الروم، وسببه أن قليج رسلان حاصر ذا النون الدانْشَمَنْد صاحب مَلَطيْة وسيواس، وأخذهما منه، فجاء إلى نور الدِّين، فأرسل إلى صاحب الرُّوم يقول: هذا ملكٌ، وقد استجار بي، فَرُدَّ عليه بلاده. فلم يلتفت، فسار نورُ الدِّين، فاستولى على أطراف الرُّوم بَهَسْنا ورَعْبان وكَيْسوم والمَرْزُبان والقلاع المتاخمة للرُّوم، وقَصَدَ مَلَطْية، فتأخر قليج رسلان إلى وسط بلاده لأَنَّه ما كان له طاقة بنور الدِّين، وبينا نور الدِّين على ذلك القَصد جاءه خبر الفرنج أَنَّه قد وصلوا إلى بلاد المُسْلمين، فرجع إلى حِمْص، وأقام بها أياماً، ثم دخل بلاد الفرنج، فنزل بالبقيعة تحت حِصن الأكراد عازماً على حِصار طرابُلُس، ومعه خَلْقٌ عظيم، وضَرَبَ النَّاس خيامهم، ولم يكن لهم يَزَك[٢] ظناً من نور الدِّين أنهم لا يقدمون عليه، فبينا النَّاس وسط النَّهار في خيامهم لم يَرُعْهم إلا ظهور الصُّلبان من وراء الجبل الذي عليه الحِصن، فالسَّعيد من رَكِبَ فرسه، ونجا، وخرج نورُ الدِّين وعليه قَبَاء، فركب فرس النَّوْبة، وفي رِجْله شِبْحة[٣]، فقطعها كرديٌّ ونجا نور الدِّين، وقُتِلَ الكردي، وقَتَلَ الفرنجُ، وأسروا خَلْقاً عظيماً، واستولوا على العسكر بما فيه [وكان من قِلَّة الحَزْم حيث غفلوا عن العدو، ولم يستظهروا باليَزَك والطلائع][٤]، وجاء نورُ الدِّين إلى حِمْص، فلم يدخُلْها، ونزل على البحيرة، واجتمع إليه من نجا من المعركة، وأرسل إلى دمشق وحلب، وأحضر الخيام والسِّلاح والخيل، وفرَّقها في النَّاس، ومَنْ قتل أبقى إقطاعه على ولده وإلا فأهله.

وكان [من][٤] عَزْمِ الفرنج قَصد حِمْص، فلما بلغهم نزول نورِ الدِّين على البحيرة، قالوا: ما فعل هذا إلا عن قوة، فتوقفوا.

---

(١) في هذا الخبر خلط المصنف ـ وربما المختصر ـ بين حادثتين متباعدتين، وليست إحداهما سبباً للأخرى كما ساقهما، أما الأولى فمسير نور الدين لقتال قليج رسلان بن السلطان مسعود، وهذه الحادثة وقعت سنة (٥٦٨هـ)، انظر «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٣٩١-٣٩٢، و«كتاب «الروضتين»: ٢/ ٢٦١-٢٦٣ . وأما الثانية فهزيمة نور الدين عند حصن الأكراد، وهي قد وقعت سنة (٥٥٨هـ)، انظر «كتاب «الروضتين»: ١/ ٣٩٧-٣٩٩ .

(٢) اليزك: طلائع الجيش.

(٣) هي التي تربط بها يد الفرس إلى رجله من لباد ونحوه، انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ١/ ٧١٩ .

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

وفرَّق في يومٍ واحد مئتي ألف دينار، وجاء رجلٌ فادَّعى أَنَّه ذَهَبَ له شيءٌ كثير، وكان الأمر بخلافه، وكتب النُّواب إلى نور الدين يخبرونه بأَنه مُبْطل [في دعواه][1]، فكتب إليهم: لا تكدِّروا عطاءنا، فإنِّي أرجو الأجْر من الله على القليل والكثير.

وكتَبَ إليه النُّواب بأنَّ الإدرارات كثيرة في البلاد للفقراء والفقهاء والصُّوفية، فلو حملناها إليك في هذا الوقت لاستعنتَ بها، ثم تعيد العوض، فَغَضِبَ، وكتب إليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وهل أرجو النَّصر إلا بهؤلاء، وهل تُنْصرون إلا بضُعفائكم[2]؟ فكتب إليه النُّواب: فإذا لم تغيِّر عليهم شيئاً، وقد وقعتَ في هذه الورطة العظيمة، فلو أمرتنا لاقترضنا من أرباب الأموال ما تستعين به على جهاد العدو، فقد نَفِدَتْ الخزائن، ويطمع العدو في الإسلام. فبات مفكِّراً، وقال في نفسه: نقترض، ثم ندفع العوض. ثم قال: ما أفعل. وباتَ قلقاً إلى وقت السَّحر، فنام، فرأى إنساناً يُنْشِد: [من المديد]

أَحْسِنُوا ما دامَ أمركُمُ ... نافذاً في البَدْو والحَضَر
واغْنموا أَيَّام دَوْلتكُمْ ... إنّكُمْ منها على خَطَرِ

فقام مرعوباً مستغفراً مما خَطَرَ له، وعَلِمَ أَنَّ هذا تنبيه من الله، فكتب إليهم: لا حاجة لي بأموال النَّاس. وعاد الفرنج إلى بلادهم.

وفيها ظهر شاور بن مجير السَّعدي من الصَّعيد، وجَمَعَ أوباش الصَّعيد والعبيد، وجاء إلى القاهرة، فخرج إليه رُزِّيك بن الصَّالح فهزمه، ودخل القاهرة، فأخرب دار الوِزارة، ودار بني رُزِّيك ونهبها، وبَعَث إليه العاضد بخِلْعة الوِزارة، ولقبه أمير الجيوش، وتتبَّع رُزِّيكَ بنَ الصَّالح، وكان مختفياً عند بعض اللَّخْميين، فجاؤوا به إليه فقتله، وأقام شاور، فأساء السِّيرة، فخرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن ثعلبة[3] من الصَّعيد، وحشد، فخرج إليه شاور،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩٦)، والنسائي في المجتبى (٣١٧٨) من حديث سعد، وبنحوه أخرجه الترمذي (١٧٠٢) من حديث أبي الدرداء.

(٣) كذا في (ع) و (ح)، وورد في «وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٤ وغيره من كتب التاريخ: ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي المنذري، وانظر أخباره في «الروضتين».

فهزمه ضرغام، وقتل ولده، وخذل أهلُ القاهرة شاور، فانهزم إلى الشَّام، وكان نورُ الدِّين بدمشق، فالتقاه وأكرمه، وأقام عنده أياماً، ثم طلب منه العسكر، وقال: أكون نائبك بالدِّيار المِصرية، وأقنع بما تعين لي من الضياع، والباقي لك، فأجابه نور الدين.

[فصل وفيها توفي

طلحة بن علي أبو أحمد الزَّيْنبي[١]

نقيب النقباء، وله نقابة العباسيين، وناب في الوزارة، وحضر مجالس جدِّي مراراً، بات معافى، فأصبح في منزله ميتاً، فذكر أنه أكل لبّاً وأرزاً وجماراً، ودخل الحَمَّام، فعرضت له سكتة، فتوفي في ربيع الأول، ودفن بباب حرب][٢].

وفيها توفي

عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب[٣]

[وقد ذكرنا ولايته وبدايته][٢]، وأقام بعده ولده يوسف [بن عبد المؤمن][٢]، وتوفي سنة ثمان وسبعين وخمس مئة[٤]، وكان عبد المؤمن فاضلاً في فنون العلوم الشرعية والأحاديث [النبوية.

وأجرى نهراً من الجبل إلى جامع مرَّاكُش من مسافة بعيدة، وكان مشدداً في أمر الصلاة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، قتل كثيراً من تاركي الصلاة، وكان يأمر الناس بحفظ عقيدة ابن تومرت، وقد ذكرناها[٥]، وتسمى المرشدة، وضرب الدينار الوازن الخالص، ويسمى المؤمني إلى اليوم، وكان إماماً في كل فن، وكانت أيامه منذ مات ابن تومرت إلى أن توفي عبد المؤمن ثلاثاً وثلاثين سنة، وخلف من الولد خمسة

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٤٨٨-٤٨٩، والبداية والنهاية (وفيات سنة ٥٥٨هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٢٩١-٢٩٢ ، و«المعجب»: ٢٨٤-٣٠٣ ، ٣٢٧-٣٤٤ ، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٣٧-٢٤١ ، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٦٦-٣٧٥ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) الصحيح أنه توفي سنة (٥٨٠هـ).

(٥) ج٢٠/ ٢٦١ - ٢٦٣ من هذا الكتاب.

عشر ولداً، وخمس بنات، وحمله ابنه أبو يعقوب يوسف القائم بعده في محفة، ودفنه عند محمد بن تومرت، وسار ابنه يوسف في الناس سيرة أبيه، وسنذكره][1].

محمد بن عبد الكريم أبو عبد الله[2]

سديد الدولة، ابن الأنباري، كاتب الإنشاء بديوان الخليفة، أقام كاتباً به نيفاً وخمسين سنة، وناب في الوزارة، وكان فاضلاً، ومن شعره:

يا قلبُ إلامَ لا يُفيدُ النُّصحُ ... دَعْ مَزْحك كم هوًى جناه المَزْحُ
ما جارحة منك خلاها جرحُ ... ما تشعر بالخُمار حتى تَصحو[3]

وكانت بينه وبين الحريري صاحب «المقامات» مكاتباتٌ ومراسلات مدوَّنة، وخَرَجَ مع المسترشد لما سافر إلى لقاء مسعود، وأُسر، وترسَّل عن الخليفة إلى الملوك، وكانت وفاته في رجب عن تسعين سنة، وصَلَّى عليه الوزير ابن هُبيرة بجامع القَصر، ودُفِنَ بمقابر قريش.

محمد بن محمد أبو الفتح[4]

الكاتب البغدادي الفاضل.

ولد سنة ثمان وتسعين وأربع مئة، ومن شعره: [من البسيط]

مالي وللبَرْقِ مجتازاً على إضَمِ ... يُبْدي تألُّقَهُ عن ثَغْرِ مُبْتَسِمِ
سهرتُ والليلُ مكحولُ الجفونِ به ... كأنَّه ضَرَمٌ قد دَبَّ في فَحَمِ
أمُخْبِري أنتَ عن وادي العقيق وهل ... حلَّتْ مجاورةً سَلْمى بذي سَلَمِ
حَمَّلْتُكَ العِبْء من شوقي لتحملَهُ ... رسالةً لم تكن فيها بمُتَّهَمِ
فما لهم عَلِموا ما قد كتبتُ به ... على لسان الهوى عن بانة العَلَمِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٢/ ١٤٠-١٤٤، و«المنتظم»: ١٠/ ٢٠٦، و«الكامل»: ١١/ ٢٩٧، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٧٩-٢٨٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٥٠-٣٥١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) «خريدة القصر»: ٢/ ١٤٢.

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٢٦٠-٢٧٢، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ١٢٠.

يا طائراً عَذَباتُ البانِ مسكَنُهُ ... أيقظْتَ للدَّمْعِ جَفْناً عنه لم يَنَمِ
غَرِّدْ بألحانك المُسْتَعْجِمات فما ... أبقيتَ جارحةً إلا على أَلَمِ
لِيَهْنِكَ الإلْفُ والعيش الرَّغيد وإنْ ... كان الذي سَرَّ أو ما ساء كالحُلُمِ
تحية من مَشُوق طال موقفهُ ... على الثَّوِيَّةِ[1] بالوَخَّادة الرُّسُمِ[2]
يَحِنُّ شوقاً إلى أرض الحجاز ومِنْ ... دونِ الذي رامَ شعبٌ غير مُلْتَئِمِ
فقِفْ بحيث أفاض المُحْرمون على ... عارٍ من [الثوب][3] مكْسُوٍّ من السَّقَمِ
في كل وقت له [وجْدٌ][4] يُقَلْقِلهُ ... حتى يُظَنَّ به طَيْفٌ من اللَّمَمِ

من أبيات[5].

يحيى بن سعيد [الطبيب][6] النَّصراني البغدادي[7]

أوحد زمانه في معرفة الطِّبِّ، والأدب، وله ستون مقامة ضاهى بها مقامات الحريري، وله شِعْرٌ رائق، فمنه في الشيب يقول: [من الخفيف]

نَفَرَتْ هندُ من طلائعِ شَيْبي ... واعترتها سآمةٌ من وجوم
هكذا عادةُ الشَّياطين يَنْفِرْ ... نَ إذا ما بَدَتْ رجومُ النُّجومِ[8]

وقال: [من الكامل]

قَسَماً بسكَّانِ العقيقِ وحاجرٍ ... مُذْ غِبْتَ ما لاذ الرُّقاد بناظري
وإذا أَلَمَّ فما يُلِمُّ بمُقْلتي ... إلا طماعيةً بطيفٍ زائر

---

(١) الثوية: موضع قريب من الكوفة، وقيل: بالكوفة. «معجم البلدان»: ٢/ ٨٧ .

(٢) الوخادة: الإبل التي تخد؛ أي تسرع وتوسع الخطو. «اللسان» (وخد). والرسم جمع رسوم، وهي الناقة تؤثر في الأرض من شدة الوطء. «اللسان» (رسم).

(٣) في (ع) و (ح): السقم، والمثبت ما بين حاصرتين من «الخريدة».

(٤) في (ع) و (ح): طيف، والمثبت ما بين حاصرتين من «الخريدة».

(٥) القصيدة في «خريدة القصر» ٣/ ٣٧٠-٣٧٢ .

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٧) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٤/ ٦٩٥-٧٠١ ، و«أخبار الحكماء» للقفطي: ٢٣٦ ، و«معجم الأدباء»: ٢٠/ ٤٠ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٦٤ ، و«البداية والنهاية» (وفيات ٥٨٩ هـ)، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٨٥ .

(٨) البيتان في «الخريدة»: ٤/ ٦٩٦ .

سَلْ صادحاتِ الوُرْقِ عن وَلَهي بمَنْ ضَمَّتْ تِهامةُ فهي عينُ الخابرِ
وإذا نطقتُ فأنتَ لفظُ مقالتي وإذا سكتُّ فأنتَ سِرُّ الخاطِرِ[1]

يوسف بن محمد بن مُقَلَّد التَّنوخي[2]

رحل إلى بغداد، وعاد إلى دمشق مريضاً بعِلَّة الاستسقاء، فمات بها في صفر، ودفن بقاسيون، ومن شِعْره: [من الهزج]

فؤادي منكَ مقروحُ وقلبي منكَ مجروحُ
وقد زاد الذي ألقى فدمعُ العينِ مَسْفُوحُ
أَغِثْني يا مُنى قَلْبي فما الهِجْرانُ ممدوحُ
فأنتَ القَلْبُ واللُّبّ و[أنتَ][3] الرَّاحُ والرُّوح
أنا إنْ عَنَّفَ الواشي ففي قلبي التَّباريحُ

السنة التَّاسعة والخمسون وخمس مئة

فيها قال أبو الفرج بنُ الجَوْزي ـ رحمه الله ـ في «المنتظم»: فيها وَرَدَ البشيرُ إلى المستنجد بفَتْح مِصر، فقال حاجب الوزير ابن تركان[4] قصيدة منها: [من الطويل]

لعل حُداةَ العِيْس أن يترفَّقوا لتشفي عليلاً بالمدامع مُدْنَفُ
لِيَهْنكَ يا مولى الأنام بشارةٌ بها سيفُ دين الله بالحقِّ مُرْهَفُ
ضَرَبْتَ بها هام الأعادي بهمَّةٍ تقاصَرَ عنها السَّمْهَرِيُّ المُثَقَّفُ
بَعَثْتَ إلى شَرْقِ البلادِ وغَربِها بعوثاً من الآراء تحيي وتُتْلِفُ

---

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٤/ ٦٩٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٣١٥-٣١٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٣٦٦-٣٦٧، و«مختصر تاريخ دمشق»: ٢٨/ ٩١ (اختصرته سكينة الشهابي على نهج ابن منظور).
وهو والد عبد السلام بن يوسف الصوفي، المتوفى سنة(٥٨١هـ)، وانظر خبر قدوم عبد السلام إلى دمشق سنة (٥٧١هـ) في كتاب «الروضتين»: ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و (ح)، وقد زدتها لاستقامة الوزن.

(٤) هو شمس المعالي أبو الفضائل محمد بن الحسين بن تركان، كان حاجب الوزير ابن هبيرة، وتوفي سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج٢/ ج٤/ ٥٠٦-٥٠٨. و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ٢٧٤.